

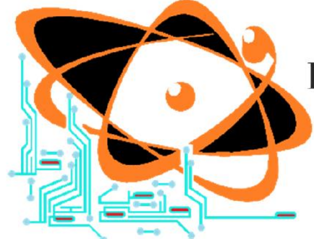
Набережночелнинский институт К(П)ФУ



Набережночелнинское медресе «Ак мечеть» ЦРО-ДУМ Республики Татарстан



Набережночелнинский институт социально-педагогических технологий и ресурсов



I МЕЖДУНАРОДНАЯ НАУЧНО-ПРАКТИЧЕСКАЯ КОНФЕРЕНЦИЯ

«РОЛЬ ИСЛАМА В СТАБИЛИЗАЦИИ СОЦИАЛЬНЫХ ПРОЦЕССОВ»



«ҖӘМГЫЯТЬ ТОРМЫШЫН ТОТРЫКЛАНДЫРУДА ИСЛАМ ДИНЕНЕҢ ӘҺӘМИЯТЕ»

I ХАЛЫКАРА ФӘННИ-ГАМӘЛИ КОНФЕРЕНЦИЯ

Набережные Челны, 2015

العقلانية في الفكر الإسلامي

د. محمد محمود كالو
الأستاذ المساعد في جامعة أدیامان
كلية العلوم الإسلامية - تركيا

أي قانون في الدنيا إذا رغب أن يتصف بالبقاء والخلود؛ فلا بدَّ أن يتحلى بالمرونة، ويتخلى عن الخشونة والجمود؛ لأنه بغير ذلك لا يمكن أن يواكب العصر وتطوراته، ولما كان الإسلام ديناً هادياً للبشرية إلى يوم القيامة كان ديناً مَرِناً في أحكامه وصالحاً لكل زمان ومكان، لأنه يخاطب العقل البشري، والعقل هو الركيزة الأساسية في التقدم الإنساني والحضاري، فأي خطوة خطاها الإنسان في هذا المضمار، هي نتاج النشاط الذهني والتفكير المنبثق عن نعمة العقل التي تكرَّمَ الله بها على عباده، فالعقل كما يقول الغزّالي: "منبع العلم و مطلعه و أساسه، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين"[3، ص98].

ومن الحقائق المقررة لدى علماء الإسلام، أن كل ما جاءت به الشريعة الإسلامية من تكاليف، ترمي إلى غاية واحدة، هي صيانة الضروريات الخمس: (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)، والحفاظ عليها، لأنها هي الدعائم التي تقوم عليها حياة البشر.

ولقد اخترتُ أن تكون دراستي حول العقل لما له من أهمية بالغة في الإسلام، وكيف حلَّ الإسلام مشكلات الإنسان قديماً وحديثاً بالعقل والمنطق، وأعلن بأن للمجتمع حقاً في سلامة عقل كل فرد فيه، كي يكون عضواً سليماً يمُدُّ المجتمع بعناصر القوة والنفع، ولأن من يُعرِّض عقلَه للخلل، يصبح عبئاً ثقيلاً على المجتمع، لذا كان من الواجب حماية المجتمع من شروره وأذاه، لأن من يختل عقله لا يقتصر ضرره على نفسه بل يتعداه إلى غيره، ومن هنا حرَّم الإسلام الخمر المضيِّع للعقل، وقد قسمتُ البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة كالتالي:

المقدمة: تشتمل على تعريف العقل لغة واصطلاحاً؛ والعقل في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أهمية العقلانية في الإسلام.

المبحث الثاني: الحلول العقلانية في الإسلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حلول عقلية لمشاكل في العهد الأول.

المطلب الثاني: حلول عقلية لمشاكل معاصرة.

الخاتمة وتشمل أهم نتائج البحث.

الكلمات السرية: العقل، العقلانية، الاسلام، الدين، النفس، النسل، الحضارة.

Rationality in Islamic thought

Dr. Mohamed Mahmoud Kalou

Assistant professor at the University of Adiyaman

Faculty of Islamic Sciences - Turkey

Any law in the world if he wishes that characterized stay and eternity; it must be flexible, and give up the roughness and inertia; because he otherwise could not keep pace with the times and developments, and when Islam was our guide for humanity to the Day of Resurrection was our flexible in its terms and is valid for every time and place , because it appeals to the human mind, and the mind is the cornerstone of human progress and civilization, any step human pace in this regard, is the product of mental activity and thinking emanating from the grace of the mind that God honors the slaves, As Ghazali says about rationality or intellect: "the source of knowledge and well-informed and basis, and the science of it being the course of the fruit of the tree and the light from the sun and the vision of the eye. "[3, p. 98].

It is planned to the scholars of Islam facts, everything that came with the Islamic Sharia costs, aimed at one goal is the maintenance of the five essentials: (religion, psychology, mind, and protect the generation, and goods), and keep them, because they are the pillars upon which human life .

I choose to be my studies on the mind because of its great importance in Islam, and how to solve Islam human problems of ancient and modern reason and logic, and declared that the community is really in the safety of the mind of every individual in it, to be a member of a sound provides the community elements of power and benefit, and because of displays his mind the defect, it becomes a heavy burden on society, so it was to be the protection of society from the evils and his harm, because of the disturbed mind is not only harmful to himself but also to others, hence Islam forbids alcohol wastrel of the mind, has divided the search to the front and two sections and a conclusion as follows:

Introduction: include the definition of the mind and idiomatically language; and mind in the Koran.

First topic: the importance of rationality in Islam.

The second topic: rational solutions in Islam, and the two demands:

First requirement: the mentality of solutions to the problems in the first covenant.

The second requirement: the mentality of contemporary solutions to problems.

Conclusion: The main search results.

Key Words: Mind, rationality, Islam, religion, psychology, protection generation, .civilization

المقدمة:

العقل في اللغة: تدل على حالة حبس وتقييد، قال ابن فارس:"العين والقاف واللام أصل واحد منقاس، يدل على حبسه في الشيء، أو ما يقارب الحبسة" [10،ج4 ص69]، والعقل سمي عقلاً لأنه يحبس صاحبه عن الذميم من القول والفعل.

والعقل في الاصطلاح: هو الجوهر الذي يدرك به حقائق الأشياء، قال الغزالي: " إن العقل يعني العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب"[3، 879]، وقال ابن حبان: " والعقل: اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم باجتناب الخطأ، فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أديباً ثم أريباً، ثم لبيباً، ثم عاقلاً " [6، ص16].

قال الراغب الأصفهاني: "العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل"[11،ج2 ص 444].

العقل في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم جاءت صيغ الفعل (عَقَلَ) في الماضي والمضارع: (عقلوه، نعقل، تعقلون، يعقلون، يعقلها) تسعاً وأربعين مرة، معظمها تشير إلى التمييز بين الحق والباطل، وضرورة إدراك الحق والباطل، على حقيقتيهما، وذلك خلال التفكير في ملكوت السماء والأرض، ومخلوقات الله الأخرى.

وأكثر الموارد جاء فيها اللفظ بصيغة الحض والتحريض: (أفلا تعقلون)، وبصيغة النفي (لا يعقلون)، وبعضها جاء بصيغة الترجي (لعلكم تعقلون)، كما جاء الفعل بصيغة الإثبات (لقوم يعقلون) ست مرات.

وأول ما يلفت الانتباه استخدام القرآن الكريم للفظ العقل؛ وروده بالصيغ الفعلية دون الاسمية، فلا نجد في القرآن الكريم المصدر ولا الاسم (العقل)، ولا اسم الفاعل (عاقل أو عاقلون) ولا اسم المفعول (معقول)، ويمكن تفسير هذا بوجوه، منها:

1- ينبه القرآن الكريم إلى مفهوم العقل بوصفه فعلاً إنسانياً يطلب إعماله لا إهماله.

2- عدم استعمال الصيغة الاسمية ينفي عن العقل صفة الثبات وصفة (المطلق) التي ألصقها به الفلاسفة حين اعتقدوا بأن العقل جوهر، فالعقل في المنظور القرآني فعل إنساني نسبي ومتغير، ولهذا المعنى جعل العقل شرطاً من شروط التكليف بالإجماع، و"إذا أخذ ما أوهب أسقط ما أوجب"[9، ج2 ص817] ، "

فالعقل لكل فضيلة أس، ولكل أدب ينبوع، وهو الذي جعله الله للدين أصلاً، وللدنيا عماداً، فأوجب الله التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبَّرةً بأحكامه" [5، ج5 ص230]، وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل) [رواه أبو داود برقم 4401].

3- ركز القرآن الكريم على صيغ الأفعال التي تدل على الحركة وعدم تعطيل العقل؛ لأنه نزل على مجتمع واقعه يقوم على التبعية والتقليد وجمود العقل، فقال الله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ } [البقرة: 170].

لقد اهتم الإسلام بالعقل بما يتفق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فالإسلام دين العقل، ودين الفكر والنظر، وللعقل تسميات أخرى في القرآن الكريم مثل: القلب والنفس واللب، فقال تعالى: { لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا} [الأعراف: 179]، وقال تعالى: { إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [الرعد:19].

المبحث الأول: أهمية العقلانية في الإسلام

لقد اهتم الإسلام بالعقل المتفق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأحاطه بسياج من العناية والرعاية، وعقيدته تعتبر العقل مع نصوص الوحي أساسان لبناء الجانب الإيماني ولا تعارض بين الشرع المنقول والحق المعقول، لأن كلاً منهما منحة من الله تعالى، ومنح الله لا تتعارض، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء:70].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى بعد أن ساق أقوال المفسرين: " والصحيح الذي يعوَّل عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله؛ إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب. فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين؛ فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء"[5،ج1 ص294].

ومن تقدير الإسلام للعقل أن جعله من المقاصد الخمسة: (الدين- النفس- النسل- العقل- المال) التي أوجبت الشريعة الإسلامية بالمحافظة عليها، وفرضت على من اعتدى عليها بالعقوبة، كما حرص الإسلام على تنمية قدرات العقل بالتأمل في مخلوقات الله والتدبر في خلق السموات والأرض، وفتح أمام العقل باب الاجتهاد، والاجتهاد عمل عقلي يقوم على التفكير والتدبر والنظر والقياس، ويتوخى الاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع، وكل هذا لا يتوصل إليه إلا بالعقل، كما فتح أمام العقل باب الشورى والتشاور والاستشارة وكلها أعمال عقلية.

وجاءت معجزة القرآن الكريم لتثوِّر العقلَ وتستنفره وتستحثه، ولم تأت لتدهش العقل فقط وتشل تفكيره كالمعجزات المادية التي كانت للرسالات السابقة، ولا يمكن لنا أن نفهم القرآن الكريم دون أن يكون هناك عقل، فهذا الحارس المحاسبي وهو في عصر التابعين وتابعي التابعين في خير القرون وضع كتاباً اسمه: "العقل وفهم القرآن"، لأنه بدون العقل لا يمكن فهم القرآن الكريم،

قال أبو حامد الغزالي: " المعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن، مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور" [1،ص3] أي نور العقل ونور الشرع [4،ص71]، فالعقل كالأساس والشرع كالبناء.

واليوم بدون العقلانية وإحياء العقلانية الإسلامية؛ لا يمكن أن ندعوا الناس إلى الإسلام، وخاصة في أوروبا وأمريكا وآسيا والعالم، وكيف ندعوا غير المسلمين ليدخلوا الإسلام دون أن يكون لدينا منطق عقلاني وعقلانية منطقية؟ نحن الآن في موقف شبيه بمرحلة الفتوحات الإسلامية، عندما خرج المسلمون من الجزيرة العربية فوجدوا أناساً لهم أنساق فكرية وفلسفات وعقلانيات فاحتاجوا إلى العقلانية كعملة صعبة يتعاملون بها مع هذه الأنساق الفكرية، ونحن الآن نذهب إلى كل العالم وهناك فلسفات وأفكار لا بدَّ أن نناقشها ونصوب آراءها ونفنِّد أخطاءها؛ وكل ذلك لا يتم إلا بالعقل والمنطق، ومن هنا كانت للعقلانية الأهمية البالغة.

ونحن إذ نتحدث عن أهمية العقل والعقلانية نجد في تراثنا ووعينا الإسلامي ربما محاربة للعقل في كثير من المسائل، وهناك في عصرنا من يذهب إلى تحقير هذا العقل على خلاف ما يقدمه القرآن الكريم، فحينما ألف الشيخ محمد الغزالي السقا كتابه: "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث"، صدر ضده أربعة عشر كتاباً؛ وأول تهمة له للأسف هي العقل والعقلانية!

إن الوسطية الإسلامية الجامعة، هي التي تجمع بين العقل والنقل، بين الذين يؤلهّون العقل من المتغربين ويقولون: لا سلطان على العقل إلا للعقل؛ وبين الذين يقفون عند ظواهر النصوص ويعتبرون العقلانية تهمة، لأن للعقل حدوداً لا يستطيع أن يتجاوزها، وله ميدان فسيح في عالم الشهادة وفي فقه النصوص وفقه الوحي، لا بد أن نُحْيِي هذه العقلانية لكي نصل إلى ما يستطيع العقل أن يصل إليه، فلا نعزل العقل ونقصيه كما لا نؤلِّهَ العقل ويكون لدينا غرور عقلاني.

المبحث الثاني: الحلول العقلانية في الإسلام

اعتمد الإسلام في الوصول إلى المعرفة على طريقين اثنين:

أولاً: طريق الوحي: وهو الخبر الصادق عن الله تعالى الذي بلغنا عن طريق الأنبياء والمرسلين.

ثانياً: طريق التجربة التي تجمع بين الحس والعقل، وهنا تظهر وسطية الإسلام في الجمع بين النقل والعقل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " العقل شرط في معرفة العلوم وكمال الأعمال وصلاحها، وبه يكمل العلم والعمل، غير أنه ليس مستقلاً بذلك، بل هو غريزة في النفس، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار"[8، ج3 ص338].

والعلوم ثلاثة أقسام:

1- العلوم الضرورية: وهي التي تلزِم جميع العقلاء كائنين أكثر من واحد، وتسمى بقوانين العقل الضرورية.

2- العلوم النظرية: وهي التي تكتسب بالنظر والاستدلال، ولابدَّ في تحصيله من علم ضروري يستند إليه ليعرف الخطأ من الصواب، ويدخل في هذا القسم كثير من العلوم كالطبيعيات والطب والصناعات، فللعقل مجال رحب في معرفتها.

3- العلوم الغيبية: وهذه لا تعلم بواسطة العقل المجرد وحده، بل لابد للعقل كي يعرفها أن يكون له طريق آخر للعلم به، كعلمه بما يكون في البلد القاصي عنه، وعلمه بما في اليوم الآخر من بعث وحساب وجزاء، وكل هذا لا يعلم إلا بطريق الخبر الصادق، ويدخل في هذا كثير من مسائل الاعتقاد، فلا يستقل العقل بمعرفتها؛ بل لا بد من اعتماده على الوحي لأنه من الغيب [2، ج2 ص218-322].

إن الحواس لها طاقة محدودة لا تستطيع تجاوزها، وإذا تجاوزت مجال قدرتها أصابها الضرر، فالعين مثلاً تبصر الأشياء، لكنها رغم سلامتها لا تستطيع رؤية الميكروبات الدقيقة رغم وجودها، ولا تستطيع رؤية الأشعة الحمراء أو فوق البنفسجية، لأن قدرتها محدودة، فإذا أرادت أن تتجاوز مجال قدرتها أصابها الضرر ولا تحقق المقصود، كمن أصرَّ أن يعرف حقيقة الشمس بعينه، وحدَّق فيها عند الظهيرة سيضر عينه ولا يصل إلى مبتغاه، وهكذا جميع الحواس.

والعقل كذلك له طاقة وقدرة محدودة، لا يستطيع أن يخضع كل المعارف وحقائقها لقدرته، فمثلاً كل الناس يؤمنون بالجاذبية الأرضية وتقبلها عقولهم، ولكنهم لا يستطيعون معرفة حقيقتها، والكهرباء عبارة عن انتقال الإلكترونات من القطب السالب إلى الموجب، لكن تعجز العقول عن معرفة كنه ذلك، كذلك يرى العقل السراب؛ وتعطيه الحواس بأن ما تراه ماءً، ولكنه من واقع التجربة ينكر دلالة الحواس، والقلم في الماء يبدو منكسراً ومتعرجاً وهو ليس كذلك.

المطلب الأول: حلول عقلية لمشاكل في العهد الأول

لقد أورد القرآن الكريم نصوصاً تحدثت عن وجود الله تعالى، وكيفية خلقه للمخلوقات تارة مجملة وتارة مفصلة، كحركة الشمس والقمر والنجوم، وتعاقب الليل والنهار، وتنقل السفن ذات الألواح والدسر في أمواج البحر المتلاطمة، ومراحل نمو النبات، وتبخر الماء من البحار المالحة إلى السماء ثم إنزاله دون أن يخالطه أدنى ملوحة سائغاً صالحاً لحياة الإنسان والحيوان والنبات، كلها حالات لا تدرك إلا بإعمال العقل والفكر، وهي أسباب لا بد من مسبب حقيقي يجريها على هذا النحو من الدقة وفق قوانين وسنن مضبوطة حتى تؤدي النتائج المفيدة والمثمرة.

ودعا القرآن إلى التفكر والتدبر العقلي في السماء وما حوت من آيات مبدعة ومتقنة {أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ} [ق: ٦]، وذم من أعرض عن التدبر {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: ٣٢].

وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث على تقديم أولوا الأحلام والنهى وأصحاب العقول الراجحة في الدين والدنيا، أما **الدين** فقد قال صلى الله عليه وسلم: (لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلَاثًا، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ) [رواه مسلم برقم 660].

وأما في **الدنيا** فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقَالَ: (لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ)، قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ، فَقَالَ: (مَا لِنَخْلِكُمْ؟)، قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: (أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ) [رواه مسلم برقم 4365].

ففي هذا الحديث دلالة على أن من العلم ما يحتاج إلى اكتساب وتعلُّم، وهو نتاج الخبرة في الحياة، والخبرة ترجع إلى العقل.

ومن الحلول العقلية في العهد الأول: نجد أنه لما جاء شاب يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الزنا بكل جرأة وصراحة فهمَّ الصحابة أن يوقعوا به؛ فنهاهم وأدناه وقال له: "أترضاه لأمك؟!" قال: لا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فإن الناس لا يرضونه لأمهاتهم" قال: "أترضاه لأختك؟!" قال: لا، قال: "فإن الناس لا يرضونه لأخواتهم"[رواه أحمد في المسند].

إنه فن معالجة الأخطاء بالعقل والمنطق وإقناع الآخر؛ وذلك بإزالة الغشاوة عن عين المخطئ ليبصر الحق والصواب بأم عينيه ويجتنبه تلقائياً، ولا بد من استخدام العبارات اللطيفة في إصلاح الأخطاء، فعن كُريب مولى ابن عبَّاس رضي الله عنه: أنَّ ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أخبرتْه أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: أشعرتَ يا رسول الله أنِّي أعتقتُ وليدتي؟ قال: أو فعلتِ؟ قالت: نعم. قال: أمَا إنك لو أعطيتِها أخوالك كان أعظمَ لأجرك) [متفق عليه]إن من البيان لسحراً؛ بل إنه السحر الحلال، حيث انتقاء العبارات الجميلة التي تشعر بتقدير واحترام الرأي الآخر، ومن ثَمَّ يشعرون بإنصافك لهم فيعترفون بالخطأ ويصلحونه، فلماذا لا يستخدم أكثر المصلحين هذا السحر الحلال في معالجة الأخطاء؟!

المطلب الثاني: حلول عقلية لمشاكل معاصرة

لدى الإسلام كثيراً من الحلول لمشاكل العالم المعاصر منها على سبيل المثال الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة، التي أطاحت منذ سنوات قليلة فقط بأقوى اقتصاد في العالم، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ اقتصادُها أكثر من 30 % من اقتصاد العالم.

هذه الأزمة المالية حذَّر ذوو الاختصاص من الوقوع في أتونها منذ سنين، لعدة أسباب من أهمها: أسعار الفائدة، والرهن العقاري، والاقتراض الفاحش لمؤسسات وهمية، وفقدان الثقة لأنها منفصلة عن الجوانب الاعتقادية والأخلاقية.

إزاءَ هذه الأزمة ارتفعت أصواتٌ عالمية تنادي بالحلول للخروج من هذا المأزق، والمفاجأة كانت من أوربا؛ وذلك حين دعت صحف غربية إلى تغيير نظام الاقتصاد التقليدي العالمي؛ والاستنجاد بالنظام الاقتصادي الإسلامي.

ففي افتتاحية مجلة (تشالينجز Challenger)، كتب "بوفيس فانسون Bea fils Vincent" رئيس تحريرها موضوعًا بعنوان (البابا أو القرآن) فأثار الموضوع موجة عارمة من الجدل وردود الأفعال في الأوساط الاقتصادية العالمية، ومما قال الكاتب:

"أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا؛ لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها، ما حلَّ بنا ما حلَّ من كوارث وأزمات، وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري؛ لأن النقود لا تلد النقود" [7، 06/02/2015].

هكذا جاءت الدعوة من قِبَلِهم بأن الحل يوجد في الاقتصاد الإسلامي، ذلك لأن الإسلام يحرم الربا ، بل هو الذنب الوحيد الذي أعلن الله تعالى فيه الحرب على المتعاملين به، فقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} [البقرة: 278-279].

إضافة إلى أن تحريم الربا والفائدة على الأموال سيضع حدًّا أمام **الأفراد** من كنز الأموال وفصلها عن العمل، وبذل الجهد للحصول على الربح المشروع،كما سيضع حدًّا أمام **الشركات** التي وجَدَت من هذه القروض أفضل وسيلة لزيادة رؤوس الأموال.

لقد عمل علماؤنا من الصدر الأول وخبراء الاقتصاد الإسلامي المعاصر في ضبط قواعد الاقتصاد الإسلامي العقلاني من خلال تدوينها في أبواب مستقلة، ونجحوا في طرح الخدمات المصرفية العقلية بصورها الإسلامية المعاصرة، فجاءت البدائل حلولاً مميزة بغاية الدقة؛ مما جعل المصارف الإسلامية تتبوَّأ الصدارة في مجال العمل المصرفي، كما كانت سببًا في الحفاظ على رؤوس أموال البنوك وحقوق العملاء معها، وبناء على هذه البدائل؛ لا

يمكن لأية جهة كانت أن تحصل على المال بناء على رُخَصٍ لمؤسسات وهمية لا وجود لها على أرض الواقع، لأن المصارف الإسلامية لا تدخل في أية معاملة إلا بعد التحقق من وجودها واقعياً وجوازها من الناحية الشرعية، علاوة على مراعاة مسألة التقابض فيها، وهي مسألة أساسية دعت إليها الشريعة الإسلامية؛ لئلا يقع البائع أو المشتري في مسألة بيع المعدوم.

الخاتمة وتشمل أهم نتائج البحث

لقد أحاط الإسلام العقل بالرعاية والعناية، وحماه من كل ما يشينه حسياً كان كالخمر؛ أو معنوياً كالخرافات، وجعل العقل مناط التكليف، ووسيلة لفهم نصوص الوحي، وفي نهاية المطاف يمكن إجمال **أهم النتائج** التي توصل إليه الباحث على الشكل التالي:

1- العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، لكنه غير مستقل بنفسه، بل محتاج إلى الوحي، إذ العقل بمنزلة البصر في العين، والوحي بمنزلة الضوء، وبدون الضوء لا تبصر العين ولو كانت صحيحة.

2- ميَّز الإسلام الإنسان بالعقل دون غيره، وعدَّ العقلَ وسيلة الإدراك والتمييز، ومنحه حق الاجتهاد والتجديد، وأوجب استخدام العقل والتفكير في كل شؤون الحياة وحل مشاكلها.

3- يعتمد الإسلام على العقل والكلام المنطقي والأدلة الضرورية لإقناع الآخرين، لأن العقل السليم يساير الفطرة، ولذلك نجد أن عقلاء العلماء في شتى الميادين يدخلون في الإسلام حينما تنبهر عقولهم بالحقائق العلمية والكونية التي نبهت إليها نصوص الوحي من القرآن والسنة، ووافقتها عقولهم.

4- نشر الإسلام العلم والمعرفة لكل البشر ولم يحتكره لنفسه، وحلَّ مشاكل الدنيا أيام كان قائداً ورائداً للعالم، ولا زال يحل مشاكلهم باعتراف أعدائه، وهاهم يطالبون بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال الاقتصادي؛ لوضع حد للأزمة الاقتصادية التي هزت أسواق العالم مؤخراً.

وأخيراً أوصي بمزيد من الدراسات العلمية حول العقل في الفكر الإسلامي، لأهمية دوره وتطبيقه في مجالات الحياة المعاصرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك.

وختاماً أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث قارئه وكاتبه، ويتجاوز عن التقصير، ويسدد القول والعمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر:

1- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد الغزالي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1403 هـ 1983م.

2- الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر(د.ت).

3- إحياء علوم الدين للغزالي، أبو حامد محمد الغزالي، دار بن جزم، الطبعة الأولى 1426 هـ 2005م.

4- تهافت الفلاسفة، أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق سليمان دنيا، الطبعة الثانية، القاهرة 1955م.

5- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1405هـ.

6- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، الطبعة الثالثة 1374هـ.

7- مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، بحث بعنوان: نحو نظام اقتصاد إسلامي عالمي، نادية شنيوني، 06.02.2015.

8- مجموع الفتاوى، أحمد ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحيم القاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، 1400هـ.

9- المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا (ت 1419 هـ)، دار القلم، دمشق، ط1، 1418هـ، 1998م.

10- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ.

11- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصكفى الباز (د.ت).

المحتوى